سورة الأحزاب

٨١٥ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ..(١)﴾.

لم يقل فى ندائه «يا محمد» كما قال فى نداء غيره «يا موسى، ياعيسى، يا داود»، بل عدل إلى «يا أيها النبى» إجلالاً له وتعظيمًا، كما قال: ﴿يا أيها الرسول﴾«٦» وإنما عدل عن وصفه إلى اسمه فى الإخبار عنه فى قوله ﴿محمد رسول الله﴾ وقوله ﴿وما محمد إلا رسول﴾ ليعلم الناس أنه رسول الله، ليلقبوه بذلك ويدعوه به.

٨١٦ ـ قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ..(٦)﴾ أى فى الحرمة والاحترام، وإنما جعلهن الله كالأمهات ولم يجعل نبيه كالأب، حتى قال: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ لأنه تعالى أراد أن أمته، يدعون أزواجه بأشرف ما تنادى به النساء وهو الأم، وأشرف ما ينادى به النبى ﷺ لفظ (الرسول) لا الأب ولأنه تعالى جعلهن كالأمهات، إجلالاً لنبيه لئلا يطمع أحد فى نكاحهن بعده، ولو جعله أبًا للمؤمنين لكان أبًا للمؤمنات أيضًا فيحرمن عليه وذلك ينافى إجلاله وتعظيمه، ولأنه تعالى جعله أولى بنا من أنفسنا، وذلك أعظم من الأب فى القرب والحرمة، إذ لا أقرب للإنسان من نفسه ولأن من الأباء من يتبرأ من ابنه ولايمكنه أن يتبرأ من نفسه.

٨١٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ..(٧)﴾ فيها عطف الخاص على العام وقدم النبى ﷺ فى الذكر، على مشاهير الأنبياء لبيان شرفه وفضله عليهم ﷺ أجمعين، وإنما قدم نوح فى آية ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾ لأنها سيقت لوصف ما بعث به نوح من العهد

القديم، وما بعث به نبينا من العهد الحديث، وما بعث به من توسطهما من الأنبياء المشاهير، فكان تقديم نوح فيها أشد مناسبة للمقصود.

٨١٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾.

فائدة إعادته التأكيد، أو المراد بالميثاق الغليظ: هو اليمين بالله تعالى، على الوفاء بما حملوا، وعليه فلا إعادة لاختلاف الميثاقين.

٨١٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ .. ﴿٢٤﴾ ﴾.

إن قلت: كيف علق عذابهم بمشيئته مع أن عذابهم متيقن الوقوع لقوله تعالى: ﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾؟

قلت: معناه إن شاء عذبهم ـ وقد شاء أو أن شاء موتهم على النفاق.

٨٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ .. ﴿٣٠﴾ ﴾.

المراد بالفاحشة: النشوز وسوء الخلق.

إن قلت: لم خص الله تعالى نساء النبى ﷺ بتضعيف العقوبة على المذنب، والمثوبة على الطاعة؟

قلت: أما الأولى فلأنهن يشاهدن من الزواجر الرادعة عن الذنوب، ما لا يشاهده غيرهن، ولأن فى معصيتهن أذى لرسول الله ﷺ وذنب من آذى رسول الله ﷺ من ذنب غيره.

وأما الثانى: فلأنهن أشرف من سائر النساء لقربهن من رسول الله ﷺ، فكانت الطاعة منهن أشرف كما أن المعصية منهن أقبح.

٨٢١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .. ﴿٣٥﴾ ﴾.

إن قلت: لم عطف أحدهما على الآخر مع أنهما متحدان شرعًا؟

---

٨٢٠ ـ راجع تفسير القرطبى ١٤/ ١٧٤ والبحر المحيط ٧/ ٢٢٨.

قلت: ليسا بمتحدين مطلقًا بل هما متحدان صدقًا لا مفهومًا أخذًا من الفرق بين الإسلام والإيمان الشرعيين، إذ الإسلام الشرعى: هو التلفظ بالشهادتين، بشرط تصديق القلب بما جاء به النبى ﷺ والإيمان الشرعى عكس ذلك ويكفى فى العطف المقتضى للاختلاف اختلافهما مفهومًا وإن اتحدا صدقًا.

٨٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ .. (٤٠)﴾ الآية، هو جواب عن سؤال مقدر، تقديره: أمحمد أبو زيد ابن حارثة؟ فأجيب بنفى الأعم المستلزم لنفى الأخص، إذ لو اقتصر على قوله: ما كان محمد أبا زيد لقيل: وماذا يلزم منه؟ فقد كان للأنبياء أبناء فجىء بنفى الأعم تمهيدًا للاستدراك بأنه رسول الله وخاتم النبيين.

إن قلت: كيف صح نفى الأبوة عنه، وكان أبًا للطيب والطاهر والقاسم وإبراهيم؟

قلت: قد قيد النفى بقوله ﴿من رجالكم﴾ لأن إضافة الرجال إلى المخاطبين تخرج أبناءه لأنهم رجاله لا رجالهم، ولأن المفهوم منهم بقرينة المقام الرجال البالغون، وأبناؤه ليسوا كذلك، إذ لو كان له ابن بالغ لكان نبيًا، فلا يكون هو خاتم النبيين.

فإن قلت: كيف قال تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾ وعيسى عليه السلام ينزل بعده وهو نبى؟

قلت: معنى كونه ﴿خاتم النبيين﴾ أنه لا يتنبأ أحد بعده، وعيسى نبى قبله وحين ينزل عاملاً بشريعة محمد ﷺ.

٨٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦)﴾.

إن قلت: كيف شبه الله تعالى نبيه ﷺ بالسراج دون الشمس مع أنها أتم؟

قلت: المراد بالسراج هنا: الشمس، كما قال تعالى: ﴿وجعل الشمس سراجا﴾ أو شبهه بالسراج لأنه تفرع منه بهدايته جميع العلماء، كما يتفرع من السراج سرج لا تحصى بخلاف الشمس.

٨٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ..(٤٩)﴾ التقييد بالمؤمنات خرج مخرج الغالب، وإلا فالكتابيات مثلهن فيما ذكر فى الآية.

٨٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿..وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ ..(٥٠)﴾.

أفرد العم والخال، وجمع العمات والخالات لأن العم والخال بوزن مصدرين وهما «الضم» و«المال» والمصدر يستوى فيه المفرد والجمع بخلاف العمة والخالة، ولا يرد على ذلك جمع العم والخال فى قوله فى النور: ﴿أو بيوت أعمامكم أو بيوت أخوالكم﴾ لأنهما ليسا مصدرين حقيقة، فاعتبر هنا حقيقتهما، وثم شبههما.

٨٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ ..(٥٥)﴾.

إن قلت: كيف ذكر فيها الأقارب ولم يذكر العم والخال مع أن حكمهما حكمهم فى رفع الجناح؟

قلت: قد مر مثل هذا السؤال وجوابه فى قوله: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ الآية، فراجعه.

٨٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا(٦٧)﴾.

عطف الأول على الثانى، مع أنهما بمعنى لتغايرهما لفظًا، كقولهم: فلان عاقل لبيب، وقول الشاعر: «معاذ الله من كذب ومين»(*) وتقدم نظيره.

٨٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢)﴾.

---

٨٢٤ ـ راجع القرطبى ١٤/ ٢١٢.

٨٢٨ ـ راجع الطبرى ٢٢/ ٣٨ والقرطبى ١٤/ ٢٥٣ والبحر المحيط ٧/ ٢٥٣.

* المين: الكذب، والشطر من بحر الوافر.

إن قلت: الإنسان هنا آدم عليه السلام، فكيف وصفه بظلوم وجهول، وهما صفتا مبالغة؟

قلت: لأنه لجلالة قدره، ورفعة محله، كان ظلمه لنفسه ـ بما حمله وجهله به وإن قل ـ أفحش من غيره أو لتعدى ضررهما لجميع الناس، لإخراجهم من الجنة بواسطته.

« تمت سورة الأحزاب »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋